الملاحظات

وقت قصير من استشهاد "سلطان الشهداء" و"محبوب الشهداء"، كتب حضرة بهاءالله "لوح البرهان" الموجّه للشيخ باقر (الذئب)، وفيه أدان بقوة تصرّفه الشرير.

كما خاطب فيه مير محمد حسين (الرقشاء) ووبخه بشدة للدور الذي لعبه. إن اللغة القوية التي يستعملها حضرة بهاءالله في هذا اللوح تدل على مدى غضب الله النازل على هذين المثالين للشر المتجسد.

وقد وصما من قبل حضرة بهاءالله بأوصاف: **"الغافل"**، **"المبغض العنود"**، **"الموهوم"**، القابع **"في جهل مبين"**، الواقع **"في حجاب غليظ"**، **"المشرك بالله"**. أدانهما معاً لجريمتهما المنكرة التي بها ناح **"الرسول"** (محمد (ص)) واحترقت **"قلوب الملأ الأعلى"** و**"ذاب كبد البتول"** و**"ناح أهل الفردوس"** وناح **"الناموس الأكبر"** و**"ناحت الأشياء"**، و**"ارتعدت فرائص الأولياء"**، و**"أخذت الظلمة كل الأقطار"**.

يخاطب حضرة بهاءالله الشيخ باقر (الذئب) الذي حرر فتوى القتل بما يلي:

"قد أفتيت على الذي حين إفتائك يلعنك قلمك..."

ويؤكد في موضع آخر:

"إنك لو اطّلعت على ما فعلت لألقيتَ نفسك في النار أو خرجتَ من البيت متوجهاً إلى الجبال ونُحتَ إلى أن رجعتَ إلى مقام قدّر لك من لدن مقتدر قدير.

في هذا اللوح يوبخ حضرة بهاءالله الشيخ بهذه الكلمات:

"يا أيها الغافل إنك ما رأيتني وما عاشرتَ وما آنستَ معي في أقل من آن فكيف أمرتَ الناس بسبّي هل اتّبعتَ في ذلك هواك أم مولاك فأْتِ بآية إن أنت من الصادقين. نشهد أنك نبذتَ شريعة الله ورائك وأخذتَ شريعة نفسك."

في المقتطف أعلاه يتحدث حضرة بهاءالله عن السبّ من قبل الناس، إذ كانت ممارسة شائعة من قبل أعداء أمر الله أن يسبّوا مؤسسيه. عندما كان يُحكم على بهائي بالموت في سبيل عقيدته، فإنه عادة يُعطى فرصة لإنكار عقيدته. فإن أنكر سلم ونجا، ولكن في كثير من الأحيان كان مجرد الإنكار لا يعتبر كافياً. والسبب الأساسي لذلك

يعود إلى أن إنكار الشخص لعقيدته لدى الشيعة كان يعتبر عملاً مشروعاً في أوقات الخطر. وكان هذا النفاق يجري على نطاق واسع بين أهالي إيران لعدة قرون (وهو ما يُعرف باسم "التقية"). ورغم كونه في الواقع إقراراً كاذباً فيما يخص إيمان الفرد ومعتقداته، إلاّ أنه لن يلام لو اضطر لفعله. وعليه كانت وسيلة مقبولة في الحياة، حتى إن بعض المؤمنين –البابيين والبهائيين- عملوا بموجبه حفاظاً على حياتهم في الأيام الأولى من نشأة أمر الله. لهذا السبب كان أعداء أمر الله في بعض الأحيان يصرّون على أن إنكار البهائي لعقيدته لم يكن دليلاً كافياً. من هنا جاء مطلبهم إضافة لإنكاره بأن يلعن البهائي حضرة بهاءالله، مؤسس الدين، عسى أن ينجو بحياته. أي أن السب كان يعتبر امتحاناً لصدق الشخص المطالب بالإنكار. وتجدر الإشارة إلى أنه لا يجوز للبهائي إخفاء دينه.

لم تقتصر ممارسة الشتم على هذه المناسبات، بل كانت أكثر انتشاراً. ففي نظر رجال الدين المسلمين في إيران كان شتم حضرة بهاءالله، وشخصيات أمر الله الأخرى، يعتبر من أعمال العبادة والتقرب إلى الله وخدمة جليلة للإسلام، وكثيراً ما فعلوا ذلك خلال خطبهم من فوق المنابر. وكم من مسلم متعصب متحمس من الشيعة تفاخر في قذفه مؤسسي أمر الله بالسباب العلني لدى مرور أحد البهائيين أمامه. كان ذلك واحداً من أشكال الاضطهاد النفسي الشديد الذي عاناه الكثير من البهائيين يوماً بعد يوم،

وفي بعض الأحيان كان يثير حوادث خطيرة قد يتأذى منها أحد الأحباء، أو ينتقل الشغب إلى منطقة أوسع تشمل الجامعة البهائية بأسرها أو جزءاً منها.

وعانى الأطفال البهائيون أيضاً من ذلك، ففي بعض المناطق كان يحيط بهؤلاء مجموعات من الأطفال من رماة الحجارة وهم يهتفون بشعارات مناهضة للبهائيين. كان لتلك العبارات المسيئة لمؤسسي أمر الله، أثر نفسي عميق لدى الأطفال البهائيين، وهنا لعب أولياء الأمور دوراً هاماً جداً في تبديد الكآبة والحزن من قلوبهم الرقيقة، وكان مفيداً للغاية بالنسبة لأولئك الأطفال في تلك الظروف أن أحد تعاليم أمر الله الذي يحث أتباع حضرة بهاءالله هو أن يرثوا لحال أعداء أمر الله لا أن يحملوا في قلوبهم الكراهية تجاههم. ولطالما علّم كل من حضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء بأن الذين يهاجمون أمر الله هم أناس جهلاء. إنهم حمقى وضيعون، يملأ الحقد والعداء قلوبهم، وما يفعلونه هو عين عقابهم، إذ إن عقاب الجاهل هو جهله نفسه. وعليه فليس للبهائيين أن يبحثوا عن الانتقام بل أن ينظروا إلى هؤلاء الناس بعين الرحمة والشفقة. وقد فرض عليهم حضرة بهاءالله أن يدعوا الله عسى أن يرحم أعداءهم ويفتح أبصارهم ليتمكنوا من رؤية الحقيقة. وإلاّ فإن أعمالهم نفسها تدينهم بالحرمان الروحي والخسران الأبدي.

في "لوح البرهان" يخاطب حضرة بهاءالله الشيخ بهذه الكلمات المتحدية:

"أظننت أنّا نخاف من ظلمك فاعلم ثم أيقن إنا في أول يوم فيه ارتفع صرير القلم الأعلى بين الأرض والسماء أنفقنا أرواحنا وأجسادنا وأبناءنا وأموالنا في سبيل الله العلي العظيم. ونفتخر بذلك بين أهل الإنشاء والملأ الأعلى يشهد بذلك ما ورد علينا في هذا الصراط المستقيم."

إن قدرة حضرة بهاءالله وسطوته المستمدتان من النفوذ الكلي لروح الله الأعظم، تبدوان بجلاء في هذا اللوح، إذ يعلن مقامه صراحة وبقوة وسلطة قصوى لرجل كان وقتها يمسك بيديه زمام السلطة. فلن يقدر إنسان، مهما بلغ بإمكاناته، ومهما استعان بمعرفته وعلمه وقوته، أن ينطق بكلمات مهيمنة كهذه:

"تالله ما أعجزني البلاء وما أضعفني إعراض العلماء نطقت وأنطق أمام الوجوه قد فتح باب الفضل وأتى مطلع العدل بآيات واضحات وحجج باهرات من لدى الله المقتدر القدير. احضر بين يدي الوجه لتسمع أسرار ما سمعه ابن عمران في طُور العرفان. كذلك يأمرك مشرق ظهور ربك الرحمن من شطر سجنه العظيم."

هكذا صدر نداء رب الجنود بأيادي القدرة والاقتدار، للشيخ للحضور في محضره ويشهد ما تاق أنبياء الله لمشاهدته.

في هذا اللوح ينصح حضرة بهاءالله، رحمة ولطفاً من لدنه، هذا العدو المعاند لأمره بأن يتفكر بالمصير المأساوي الذي حل بعبد العزيز سلطان تركيا عقب تحذير حضرة بهاءالله إيّاه بسقوطه وزواله، ويذكّره أيضا بسقوط ناپليون الثالث وفق ما تنبأ له بوضوح، ثم يحضه على قراءة "كتاب الإيقان" عسى أن يفتح بصيرته لمشاهدة الحقيقة، ويحذره بهذه الكلمات:

"يا باقر لا تطمئن بعزّك واقتدارك مثلك كمثل بقية أثر الشمس على رؤس الجبال سوف يدركها الزوال من لدى الله الغني المتعال. قد أخذ عزّك وعزّ أمثالك وهذا ما حكم به مَنْ عنده أمّ الألواح."

إن الرحمة إحدى صفات الله، ويظهرها لسائر مخلوقاته، لهذا السبب نجد أن حضرة بهاءالله في ألواحه نصح حتى من كانوا مثالاً حياً للظلم لتغيير أساليبهم والتوجّه إلى الله. ويلاحظ ذلك في ألواحه التي يخاطب فيها أعداء أمر الله ممن استحقت أعمالهم إدانته الشديدة، ولكن هذه الإدانة لا تعود إلى الكراهية أو الانتقام. ونرى تأكيد هذا في "لوح البرهان" حيث يخاطب حضرة بهاءالله الشيخ بقوله **"ليس في قلبي بغضك ولا بغض أحد من العباد."**

أما وأن الله رحمن رحيم حتى لأعدائه فيمكن رؤيته في هذا اللوح. فبعد تنديده بالشيخ بمنتهى الشدة، وتعنيفه بما اقترفت يداه من شر، بل وحتى أعلن، خلال علمه المحيط بما كان وسيكون، زواله بوصف عزته واقتداره "**كمثل بقية أثر الشمس على رؤس الجبال**"، فإن حضرة بهاءالله مع ذلك يحثه على أن يفتح عينيه لاكتشاف الحقيقة، ويستغفر الله عسى أن يغفر له.

بهذه الكلمات يكشف القلم الأعلى عن مقامه المجيد للشيخ ثم يدعوه ليرجع إلى ربه:

"يا أيها الجاهل اعلم أن العالِم من اعترف بظهوري وشرب من بحر علمي وطار في هواء حبي ونبذ ما سوائي وأخذ ما نزل من ملكوت بياني البديع. إنه بمنزلة البصر للبشر وروح الحيوان لجسد الإمكان تعالى الرحمن الذي عرّفه وأقامه على خدمة أمره العزيز العظيم. يصلي عليه الملأ الأعلى وأهل سرادق الكبرياء والذين شربوا رحيقي المختوم باسمي القوي القدير. يا باقر إنك إن تكُ من أهل هذا المقام الأعلى فأْتِ بآية من لدى الله فاطر السماء وإن عرفت عجز نفسك خذ أعنّة هواك ثم ارجع إلى مولاك لعل يكفّر عنك سيئاتك التي بها احترقت أوراق السدرة وصاحت الصخرة وبكت عيون العارفين."

وكذلك قوله:

"افتح بصرك لترى المظلوم مشرقاً من أفق إرادة الله الملك الحق المبين. ثم افتح سمع فؤادك لتسمع ما تنطق به السدرة التي ارتفعت بالحق من لدى الله العزيز الجميل."

في هذا اللوح أيضاً يدين حضرة بهاءالله إمام الجمعة، "الرقشاء"، بلهجة غضب شديد. من بعض النواحي يتميز الخطاب بلهجة أشد سخطاً وغضباً مما خوطب به شريكه، "الذئب". فيعنفه بقوله:

"أنصفي يا أيتها الرقشاء بأي جرم لدغتِ أبناء الرسول ونهبتِ أموالهم أكفرتِ بالذي خلقكِ بأمره كن فيكون. قد فعلتِ بأبناء الرسول ما لا فعلت عاد وثمود بصالح وهود ولا اليهود بروح الله مالك الوجود."

وفي تذكيره بأنه لن يتمكن من تدمير أمر الله، يخاطب حضرة بهاءالله "الرقشاء" بهذه الكلمات:

"يا أيها المبغض العنود أظننت بالشهادة ينحط شأن الأمر لا والذي جعله الله مهبط الوحي إن أنت من الذينهم يفقهون. ويل لك يا أيها المشرك بالله وللذين اتخذوك إماماً لأنفسهم من دون بينة ولا كتاب مشهود."

وأخيراً ينبئه بانخماده قائلاً:

"سوف تأخذك نفحات العذاب كما أخذت قوماً قبلك انتظر يا أيها المشرك بالله مالك الغيب والشهود."

وفي قوله أيضاً:

"قد أخذتَ الاعتساف ونبذتَ الإنصاف بذلك ناحت الأشياء وأنت من الغافلين. قد قتلتَ الكبير ونهبتَ الصغير هل تظن أنك تأكل ما جمعته بالظلم لا ونفسي كذلك يخبرك الخبير. تالله لا يغنيك ما عندك وما جمعته بالاعتساف يشهد بذلك ربك العليم. قد قمتَ على إطفاء نور الأمر سوف تنخمد نارك أمراً من عنده إنه هو المقتدر القدير."

كما سنرى، فإن العقاب الإلهي حل به في الوقت نفسه تقريباً عندما كان حضرة بهاءالله ينزل تلك الكلمات. بدأ ذلك بسلسلة من النكسات الخطيرة التي بلغت ذروتها بنفيه عن مسقط رأسه ووفاته في وقت لاحق في ظروف بائسة.

في "لوح البرهان" يخاطب حضرة بهاءالله كذلك علماء الإسلام جميعاً معلناً لهم رسالته بكلمات متحدية كهذه:

"يا معشر العلماء هذا يوم لا ينفعكم شيء من الأشياء ولا اسم من الأسماء إلاّ بهذا الاسم الذي جعله الله مظهر أمره ومطلع أسمائه الحسنى لمن في ملكوت الإنشاء نعيماً لمن وجد عرف الرحمن وكان من الراسخين. ولا يغنيكم اليوم علومكم وفنونكم ولا زخارفكم وعزّكم دعوا الكل وراءكم مقبلين إلى الكلمة العليا التي بها فصلت الزبر والصحف وهذا الكتاب المبين. يا معشر العلماء ضعوا ما ألّفتموه من قلم الظنون والأوهام تالله قد أشرقت شمس العلم من أفق اليقين."

في هذا اللوح يخاطب حضرة بهاءالله أيضاً فقهاء إيران مشيراً إلى ممارساتهم الفاسدة، وعدم كفاءتهم وحماقتهم وميلهم لتأجيج نار الحرب. وأخيراً يلقي عليهم باللائمة لتسببهم في سقوط حرمة دين الإسلام ومكانته تماماً. وهذه هي تحذيراته المنذرة بسوء العاقبة:

"يا معشر العلماء بكم انحطّ شأن الملة ونكّس علم الإسلام وثلّ عرشه العظيم."

في ظهور حضرة بهاءالله ألغيت وظيفة الكهنوت. ومنذ ذلك الحين فقد الزعماء الدينيون قوتهم وسلطتهم. فقد أعلن حضرته بأن "قبضت العزة من طائفتين: العلماء والأمراء" وحذر حضرته في أحد ألواحه علماء الدين قائلاً: **"قل يا معشر العلماء لا ترون بعد اليوم لأنفسكم من عزٍّ لأنّا أخذناه منكم وقدّرناه للذين آمنوا بالله الواحد المقتدر العزيز المختار."**

في كتابات حضرة بهاءالله التي تخاطب رجال الدين، هناك فقرات عتاب كثيرة. فيما يلي أمثلة فقط منها:

"قل يا معشر العلماء هل تعترضون على قلم إذا ارتفع صريره استعد ملكوت البيان لإصغائه وخضع كل ذكر عند ذكره العزيز العظيم. اتقوا الله ولا تتبعوا الظنون والأوهام. اتبعوا من أتاكم بعلم مبين ويقين متين."

وكذلك:

"يا معشر العلماء لما نزلت الآيات وظهرت البينات رأيناكم خلف الحجبات إن هذا إلاّ شيء عجاب... إنا خرقنا الأحجاب إيّاكم أن تحجبوا الناس بحجاب آخر كسّروا

سلاسل الأوهام باسم مالك الأنام ولا تكونن من الخادعين. إذا أقبلتم إلى الله ودخلتم هذا الأمر لا تفسدوا فيه ولا تقيسوا كتاب الله بأهوائكم هذا نصح الله من قبل ومن بعد... لو آمنتم بالله حين ظهوره ما أعرض عنه الناس وما ورد علينا ما ترونه اليوم اتقوا الله ولا تكونن من الغافلين... هذا أمر اضطرب منه ما عندكم من الأوهام والتماثيل...

يا معشر العلماء إيّاكم أن تكونوا سبب الاختلاف في الأطراف كما كنتم علة الإعراض في أول الأمر اجمعوا الناس على هذه الكلمة التي بها صاحت الحصاة الملك لله مطلع الآيات..."

لا بد وأن حضرة بهاءالله أنزل "لوح البرهان" بعد استشهاد "سلطان الشهداء" و"محبوب الشهداء" بفترة قصيرة. وقد صرح ميرزا أبو الفضل، العلاّمة البهائي العظيم، بأن المؤمنين في طهران توصلوا بنسخة من اللوح بعد استشهاد الأخوين بثمانية وثلاثين يوماً. وكان قد استنسخ بخط يده نسختين منه، بأمر من حضرة بهاءالله، أرسل واحدة لكل من الشيخ باقر (الذئب)، والإمام مير محمد حسين (الرقشاء).

استغرق الأمر بضعة أيام فقط على شهادة "النورين التوأمين النيرين" لتنشب مشاجرة خطيرة بين الأمير وإمام الجمعة (الرقشاء) على تقاسم الثروة المنهوبة. فبعد حوالي خمسة وعشرين يوماً من الاستشهاد، حشد الإمام عدداً كبيراً من أتباعه وسار بهم إلى سرايا الحكومة للضغط على الأمير للحصول على حصة أكبر بكثير مما كان متصوراً له. سرعان ما تجمّع حشد غفير وكانت هناك ضجة خارج مقر الحكومة. وازدادت الحالة سوءاً يوماً بعد يوم، ولم يمر وقت طويل قبل تدخّل الحكومة المركزية بطهران في الموقف. فأرسلت جنداً سراً وألقوا القبض على الإمام ونهبوا منزله من جميع ممتلكاته واقتادوه منفياً إلى خراسان. وفي نهاية المطاف سمح له بالعودة إلى مسقط رأسه والتقاعد في منزله حيث توفي في بؤس عظيم. كان هذا بعد مرور سنتين على استشهاد "سلطان الشهداء" و"محبوب الشهداء".

أمّا الشيخ محمد باقر، الذئب، فقد أبعده الأمير ذليلاً إلى مدينة النجف في العراق. وإذ مُنع من العودة إلى موطنه والتمتع بكل ما جمعه من ثروة، مات حزناً وغمّاً في بلاد نائية سنة ١٨٨٣م. يصف حضرة شوقي أفندي نهاية هذين الرجلين بهذه الكلمات:

وهذا الشيخ محمد باقر الملقب بـ"الذئب"، الذي شبّهه حضرة بهاءالله في لوح البرهان الشديد اللهجة بـ **"بقية أثر الشمس على رؤوس الجبال"**، نراه يشهد بعينيه نفوذه وهو يتقلص باطراد، ثم يموت في بؤس شديد وندم عظيم. وهذا شريكه مير

محمد حسين الملقب بـ"الرقشاء"، ذلك الذي وصفه حضرة بهاءالله بأنه "أشقى بكثير من ظالم أرض الطفّ (كربلاء)"، نراه يطرد من إصفهان حول هذا الوقت نفسه، ويهيم من قرية إلى أخرى، ويعتريه مرض يبعث من الروائح الكريهة ما يجعل زوجته وابنته تبتعدان عنه ولا تطيقان الدنو منه، ويموت وهو على غير وفاق مع السلطات المحلية، فلا يجرؤ أحد على تشييع جنازته، ويدفنه بعض اللّحادين بصورة مزرية.

حسبما قيل، فإن المرض المذكور أعلاه كان سرطاناً في الحلق وسبب خراجاً ضخماً في عنقه وألماً ورائحة كريهة لا يطاقان. وقد روي بأنه عندما كان قتل "سلطان الشهداء" و"محبوب الشهداء" موضع نقاش، تردد البعض في الموافقة على قتلهما. فغضب الإمام جداً وأعلن، واضعاً يده على رقبته قائلاً: 'إن كان في هذا أية خطيئة فلتكن على رقبتي!'

أمّا الأمير، ظِلّ السلطان، الذي وصمه حضرة بهاءالله بـ"شجرة الزقوم"، فإنه أيضاً سقط من الاعتبار. فهذا الذي كان يوماً يحكم على ثلثي إيران، وبذل كل جهد بما في ذلك حصوله على دعم الحكومة البريطانية وتأييدها لتحقيق طموحه المنشود في أن يصبح وريثاً للعرش، والذي جمع حوله من مظاهر الأبهة والعظمة ما نافس الملك، صار يتدهور باطراد وانحطت مكانته وسلطته وخابت آماله وتطلعاته، وأخيراً

أرسل منفياً إلى أوروبا ولم يرجع لموطنه إلاّ حينما اشتدت عليه المالنخوليا (السوداوية)، ومات فيما بعد مذلولاً مخزيًّا.

ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ أن هذا الأمير الخسيس وصلت به الصفاقة والجسارة ليبعث رسالة بخط يده إلى حضرة بهاءالله يلتمس منه بالسماح لأتباعه بأن يعينوه ويؤيدوه على الإطاحة بوالده الملك. وفي المقابل تعهد بمساعدة البهائيين إذا أصبح ملكاً. بعث هذه الرسالة بواسطة الحاج محمد علي السيّاح، وهو سياسي منافق وصمه حضرة بهاءالله بـ "الجاهل". فردّ حضرة بهاءالله بحزم، وأخبر السيّاح أنه يتعين على الأمير أن يصلي لأجل الملك وأن يكون من محبي الخير له لا أن يتمنى الإطاحة به. ثم صرّح بأن دعوته لا تهدف للتدخل في الشؤون السياسية بل إصلاح خُلق البشر. وأخيراً أنذره بألاّ يكرر التماساً كهذا بعد ذلك من حضرته.

وقد سجل الحاج ميرزا حبيب الأفنان في مذكراته بأنه كان موجوداً عندما أشار حضرة بهاءالله إلى خطاب الأمير وتفضل قائلاً: 'لو أرسلنا هذه الرسالة إلى ناصر الدين شاه، لسلخ جلده (الأمير) حياً، لكن الله هو الساتر، يستر أعمال عباده.'

أثناء وجوده في أوروبا، التقى الأمير بحضرة عبدالبهاء بضع مرات، وخلال حديثه حاول تبرئة نفسه من الجرائم البشعة التي اقترفها، ملقياً باللوم على والده، ناصر

الدين شاه، قائلاً بأنه هو الذي أمر بإعدام الأخوين ("سلطان الشهداء" و"محبوب الشهداء"). بهذا اعتقد أنه يستطيع إخفاء الحقيقة عن المولى، لكن حضرته المعروف بسماحته وستره ذنوب الآخرين، أبدى له لطفه المعهود.

"كتاب ظهور حضرة بهاءالله، أديب طاهرزاده، المجلد ٤"